مناهج القراء في الأخذ بجمع القراءات القرآنية

د . رجاء بنت محمد يعقوب الهوساوي

الأستاذ المشارك بجامعة الطائف

المقدمة

الحمد لله على جزيل نعمائه، والصلاة والسلام على أشرف رسله وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأصفيائه، الذين حفظوا القرآن وحافظوا عليه من التبديل والتحريف، فكانوا بحق أعلامًا يُهتدى بهديهم، ومنارات يقتفى آثارهم، اللهم ارحم الأسلاف، ووفق أتباعهم ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، **وبعد**..

فإن الله سبحانه وتعالى شرّف هذه الأمة بأن جعلها خير أمة أُخرجت للناس، وجعل رسولها أفضل رسله، وكتابها أشرف كتبه وأجمعها﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1]، ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]، ويسّر لها حفظه، وتلاوته، وفهمه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[3]، وحفظه من التغيير والتبديل:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4].

ومن مظاهر هذا الحفظوذاك التيسير:القراءات القرآنية، فإنها تيسير من الله لهذه الأمة، كما هو ظاهر حديث إنزال القرآن على سبعة أحرف، وفي حفظ تلك

(1) سورة المائدة، الآية:48.

(2) سورة النحل، الآية:89.

(3) سورة القمر، الآية:17.

(4) سورة الحجر، الآية:9.

الأحرف والأوجه التي أُنزل عليها القرآن دلالة ظاهرة على حفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل، ومظهر من مظاهر التيسير على هذه الأمة.

ومن هنا كان الاشتغال بقراءات القرآن الكريم من أفضل ما عُني به الدارسون والباحثون؛ لتعلقها بألفاظ القرآن الكريم الذي تعبدنا الله بتلاوته، وأجزل لنا الأجر عليها، فجعل الحرف منه بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وأثاب المتتعتع فيه لمشقته عليه بأجرين، وجعل الماهر فيه مع السفرة الكرام البررة، ففي الصحيح من حديث عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله –ﷺ– قال:«**الْمَاهِرُ فِي الْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَة، والّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُو عَليهِ شَاقٌ لَهُ أَجْرَان**»[(1)].

وهذه المهارة وإن كانت تعم كل وجوه علوم القرآن، من تفسير، وقراءات، وما يتعلق بهما من علوم، إلا أنها في القراءة والتلاوة أظهر؛ لمجيء المهارة في مقابل التعتعة، التي هي من عوارض الألفاظ لا المعاني، ففي الاعتناء بالقراءات تحقيق لتلك المهارة الموعود عليها بصحبة السفرة الكرام البررة، كما أن في الاعتناء بالقراءات شكرًا لنعمة الله في تيسيرها على الأمة بإنزال القرآن على سبعة أحرف.

وقد بذل المسلمون على مرّ العصور جهدًا فائقًا لخدمة القرآن الكريم بمختلف قراءاته ورواياته, وألّفوا في ذلك المؤلفات القيمة, ومن الموضوعات المهمة المتصلة بالقراءات, موضوع:(**القراءة بالجمع للقراء**), فهو باب عظيم الفائدة، كثير النفع, كما وصفه الإمام ابن الجزري (ت:833هـ),وأفرده في طيبته ونشره بباب مستقل

(1)متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه كِتَابُ التَّوْحِيدِبَابُ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: 18] 166/6 برقم(4937) ومسلم في صحيحه كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ الْمَاهِرِ فِي الْقُرْآنِ، وَالَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ، 550/1، برقم (798) واللفظ له.

سماه باب:إفراد القراءات وجمعها[1], إلا أن هذا الموضوع لم ينل حقه من البحث والدراسة:لبيان كيفيته والأحكام المتعلقة به؛ لذا وقع اختيارنا عليه ليكون موضوع بحثنا.

أهمية البحث:

1)- التعريف بمعنى الجمع، وشروطه، وأحكامه.

2)- الكشف عن أهمية القراءة بالجمع.

3)- توضيح طرق الجمع وكيفياته.

4)-مسائل الخلاف بين العلماء في أحكام القراءة بالجمع.

أسباب اختيار الموضوع:

أهم الأسباب الداعية لاختيار الموضوع ما يلي:

1)- الرغبة في خدمة كتاب الله عز وجل.

2)- أهمية هذا الموضوع، ومتانة صلته بالقرآن الكريم، وطرق أدائه.

3)- جمع ما يتعلق بهذا الموضوع في مكان واحد؛ ليسهل مأخذه، ويقرب على طالبه.

وقد سلكت فيه الخطة التالية:

خطة البحث :

قمت بتقسيم هذا البحث إلى:

(1) النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري:146/2.

مقدمة، ومبحثين،وخاتمة, وفهارس.

تحدثت في **المقدمة** عن:

أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره.

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن الجمع وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:معنى القراءة بالجمع.

المطلب الثاني:نشأة القرءاة بالجمع.

المطلب الثالث:شروط القرءاة بالجمع.

المطلب الرابع:فائدة القراءة بجمع الأوجه.

المبحث الثاني:**مناهج القراء في الأخذ بجمع القراءات القرآنية وفيه خمسة مطالب:** .

المطلب الأول: الجمع بالحرف وكيفيته.

المطلب الثاني:الجمع بالوقف وكيفيته.

المطلب الثالث:الجمع بطريقة الانتخاب من الطريقين السابقين، وكيفيته.

المطلب الرابع:الجمع بالآية، وكيفيته.

المطلب الخامس: الجمع بالتناسب، وكيفيته

ثم ختمت البحث بخاتمة، وفهارس علمية تخدم البحث، وتسهل الاستفادة منه.

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن الجمع وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:معنى القراءة بالجمع.

معنى القراءة بالجمع:هو أن يقرأ القارئ المقطع القرآني بقراءاته المختلفة، فإذا انتهى منه انتقل إلى مقطع آخر(1).

أو:هو تكرار أبعاض القرآن لاستيفاء مذاهب القراء, ولو مع غيره من التدبر والتذكر، بشروطه:من رعاية الوقف والابتداء وحسن الأداء وعدم التركيب(2).

وقال الدكتور القارئ:معناه أن تقرأ الآية وتعيد موضع الاختلاف فتقرأ جميع ما فيه من أوجهٍ منزلة, إما بأن تعيد الآية بكل وجه، أو تعيد موضع الاختلاف فقط(3).

ويُطْلق عليه في اصطلاح المغاربة (الإرداف), كما يُلاحظ في كتب المغاربة؛ لأن القارئ يُتْبِع الوجه تِلو الوجه، فهو وجمع القراءات مترادفان(4).

وللجمع صورتان:

الأولى:جمع القراءات تلاوة في المجلس الواحد.

والثانية:جمع القراءات كتابة في المصاحف, والمقصود بالبحث هنا الأول(1).

---

(1)المدخل إلى علم القراءات, إعداد:محمد بن محمود حوا, ص 43, نسخة إلكترونية.

(2)نقله صاحب جمع القراءات القرآنية, عن الإمام عبد الفتاح هنيدي بن أبي المجد, صاحب كتاب (الأدلة العقلية في حكم جمع القراءات النقلية), انظر:ص12.

(3)انظر:سنن القراء ومناهج المجودين, لعبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ, ص36.

(4)المصدر السابق, ص 12 بتصرف يسير.

المطلب الثاني: نشأة القراءة بالجمع.

عندما يتبادر مسمى (جمع القراءات) لابد وأن تثار عدة أسئلة عن نشأة فكرة الجمع في القراءات, ومَنِ الذي ظهر على يديه ابتكار فكرة جمع القراءات؟. وما هي العوامل والدوافع لذلك؟.

ولا شك أن الباحث حين يَطْرُق الكتب للبحث عن الإجابة الشافية لذلك:سيجدالمصادر القرآنية لم تتحدث عن فترة ظهور جمع القراءات على وجه التحديد. وأول ما سيجده هو قول الإمام ابن الجزري (ت:833هـ) –رحمة الله – حين نص على أنه تتبع تراجم القراء بحثًا عن الزمن الذي ظهر فيه جمع القراءات, ولم يهتدِ إلى معرفة ذلك, رغم اطلاعه على تراجم القراء من الصدر الأول وحتى عصره في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين.

إلا أنه رغم ذلك أعطى تاريخًا تقريبيًا لظهور فكرة الجمع, وذكر ذلك في كتابه (منجد المقرئين) حيث قال:"لكن ظهر لي في أن الإقراء بالجمع ظهر من حدود الأربعمائة, وهلم جرًا "[2], وقال في النشر:"وهذا الذي كان عليه الصدر الأول ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة, في عصر الإمام الداني (ت:444هـ), وابن شيطا (ت:445هـ), والأهوازي (ت:446هـ), والهذلي (ت:465هـ) ومن بعدهم"[3].

(1)جمع القراءات القرآنية, ص 13.

(2)منجد المقرئين ومرشد الطالبين، للإمام ابن الجزري، ص20.

(3)النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري ص 506.

ومما يؤيد أن الجمع ظهر في القرن الرابع الهجري:هو ما نص عليه ابن الجزري في المنجد من أنَّ ابن مهران (ت:381هـ) هو من الأئمة الذين أقرؤوا بالجمع, ورغم ذلك فإنَّ هذا لم يعطنا تاريخًا دقيقًا عن نشأة جمع القراءات[1].

وقد اعتبر صاحب جمع القراءات القرآنية أنَ سنة وفاة ابن مهران الذي ثبت أنه أقرأ بالجمع, أقصى حد تاريخي لظهور الجمع تلاوةً في المجلس الواحد, إلا أنه مما لاشك فيه أن ظهور الجمع كان بعيد تسبيع السبعة من قَبل الإمام ابن مجاهد(ت:324هـ)[2].

وقد جاء عن الأستاذ سعيد أعراب أن المغاربة والأندلسيين هم أول من ابتكر جمع القراءات[3], ولم يعيَّن علمًا من أعلامهم, إلا أن هذا الكلام يحتاج إلى دقة علمية وتحليل تاريخي, لإثبات صحته.

ولعله يقصد أنهم هُم أول من ألَّف فيه كما سيأتي, ويَعْضُد ذلك قول الإمام ابن الجزري:"وقد بلغني أنَّ شخصًا من المغاربة ألَّف كتابًا في كيفية الجمع"[4].

وللدكتور عبد العزيز القارئ, رأي آخر حين قال:حديث المدارسة أو عرض القرآن على جبريل يمكن أن يستنبط منه أصل الجمع, فإن قوله في الحديث:**عَنْ فَاطِمَةَ –رضي الله عنها– قالت:أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ:«أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُ نِيبِ**

(1)انظر:منجد المقرئين, ص20.

(2)انظر:جمع القراءات القرآنية, ص15.

(3)انظر:القراء والقراءات بالمغرب, لسعيد أعراب, ص 65.

(4)منجد المقرئين, ص20.

الْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ،وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي»[1]. فمعنى ذلك أنه كان يختم ختمة واحدة, ويلزم من ذلك:أن يقرأ سائر ما أنزل في هذه الختمة من أحرف القرآن المختلفة, سواء كرر نفس الموضع, أو أعاد من أول الآية, لأن هذه الأحرف قرآن, ولا وجه لإخراجها من العرض.

ثمَّ توصل إلى نتيجة مُفادها:أن أصل جمع القراءات ثابت من فعل النبي ﷺ.

ثم أعقب ذلك بقوله:"إنَّ الأخبار الثابتة الصحيحة التي فيها وصف لوقائع كان بعض الصحابة فيها قرؤوا بهذه الحروف القرآنية المختلفة, كقصة هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب –رضي الله عنهما– في الحديث المشهور"[2], لم يكن في هذه الأخبار تصريح بأنهم كانوا يجمعون الأحرف المختلفة في القراءة, و ليس هناك أيضًا ما يمنع ذلك[3].

والرأي الذي ذهب إليه القارئ بأن مَنْشأ جمع القراءات فعل النبي –ﷺ– نراه أكثر الأقوال صوابًا؛ لأنه وكما هو معلوم أن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار كانت منسوخة على ما استقر في العرضة الأخيرة, وهو – أي مصحف عثمان أو المصحف الإمام–متضمنٌ ومشتمل على القراءات القرآنية المختلفة.

(1)أخرجه البخاري في:(كتاب فضائل القرآن), (باب كان جبريل يعرض القرآن على النبيﷺ):1911/4, برقم: (4711).

(2)الذي أخرجه البخاري في صحيحه كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ– بَابُ أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ 184/6، برقم (4992)، وفِي بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ بَأْسًا أَنْ يَقُولَ: سُورَةُ البَقَرَةِ، وَسُورَةُ كَذَا وَكَذَا 194/6، برقم (5041)، وفيكِتَابُ اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْبَابُ مَا جَاءَ فِي المُتَأَوِّلِينَ 17/9، برقم (6936)، وأخرجه مسلم في صحيحه كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَابَابُ بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ560/1، برقم (818).

(3) انظر:سنن القراء ومناهج المجودين, لعبد العزيز القارئ, ص36 وما بعدها, بتصرف.

وبناءً على ذلك فنقول إنَّ مدارسة جبريل للنبي -ﷺ- كانت بالقراءات القرآنية المتنوعة, أما كيفية قراءاته ﷺ فلا نعلم تفصيلها, والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: شروط القراءة بالجمع.

وضع العلماء ضوابطًا وقيودًا لجمع القراءات؛ كي لا يصبح الجمع ذريعة إلى التلاعب بالقرآن الكريم وأوجه معانيه جراء الوقف أو الابتداء المؤدي إلى الإخلال بالمعاني القرآنية الدقيقة،ولتضييق دائرة المتوجّهينإلى هذا المجال، وهذه الشروط:إما أن تكون شروط وجوب، أو شروط كمال.

أولاً:شروط الوجوب:

أول من تناول التقعيد لشروط الوجوب لجمع القراءات هو:العلامة أبو الحسن علي بن عمر القيجاطي (ت:730هـ)، وذلك في قصيدته الموسومة بـ:(التكملة المفيدة لحافظ القصيدة)، وضع فيها شروطًا للجمع، والذي يعنينا من الشروط التي وضعها القيجاطي هيالشروطالمتفق عليها عند القراء، وهي التي ذكرها ابن الجزري في (النشر) باعتبارهذا الأخير وعاءًا لعلوم من سبقه من القراء والعلماء، ومنهلاً لكل من جاء بعده منهم، وهذه الشروط هي:

1)- مراعاة الوقف.

2)- مراعاة الابتداء.

3)- عدم التركيب.

وأضاف ابن الجزري شرطًا رابعًا وهو:حسن الأداء، وقد استقر العمل عند المقرئين على الأخذ بهذه الشروط الأربعة، وفيما يلي شرح هذه الشروط:

* **الشرط الأول:مراعاة الوقف:**

ومعنى ذلك:تجنب الوقوف القبيحة التي يفسد بها المعنى:بأن يعتني القارئ الجامع بالوقوف التي يقف عليها، فيحافظ على المعاني القرآنية الصحيحة الصريحة، ولا يقف على ما يوهم المعنى القبيح، مثل الوقف على ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ﴾من قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[1]، ومن هذا النوع:الوقوف الفلسفية التي يظهر فيها التكلف والتعسف.

*** الشرط الثاني:مراعاة الابتداء:**

ومعنى ذلك:ألا يبتدئ القارئ الجامع إلا بما يجوز الابتداء به، ابتداءً لا يوهم معنىً فاسدًا. بعيدًا عن التكلف والتعسف، ومن أمثلة الابتداء القبيح:أن يبتدئ القارئ بـ ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾من قوله تعالى:﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾[2]؛ لما فيه من إفساد المعنى.

وعلى القارئ عمومًا التيقظ عند وقوفه وابتدائه؛ ليتجنب المعاني الموهمة لغير مراد الله تعالى.

*** الشرط الثالث:عدم التركيب:**

(1) سورة الأنعام، الآية:36.

(2) سورة يس، الآية:22.

والمراد بالتركيب في هذا الباب:التلفيق والخلط بين قراءة وأخرى، دونمراعاة لطرق الجمع وضوابطها:بأن يأخذ القارئُ حكمًا من قراءة، وحكمًا آخر من قراءة أخرى ويقرأ بهما معًا[1].

*** الشرط الرابع:حسن الأداء:**

وهو كل ما يتعلق بالقراءةمن أحكام الترتيل:من حق الحرف ومستحقه، والصفات والمخارج، ومعرفة المدود، وغير ذلكمن متطلبات الأداء، فلا ينشغل القارئ بأوجه الجمع عن الأداء الجيد لألفاظ التلاوة وإتقان الحروف، ولعل السر في إيراد هذا الشرط في هذا الباب:أن كثيرًا من الطلبة يتساهلون في ذلك تساهلاً مذمومًا والله أعلم[2].

وإلى هذه الشروط أشار الإمام ابن الجزري بقوله:

بِشَرْطِهِ فَلْيَرْعَ وَقْفًا وَابْتِدَا ... وَلاَ يُرَكِّبْ وَلْيُجِدْ حُسْنَ ٱلْأَدَا[3]

*** الشرط الخامس:رعاية الترتيب:**

فيبتدئ بما بدأ به المؤلفون في كتبهم، فيبدأ بنافع قبل ابن كثير، وبقالون قبل ورش[4]، ورجح الإمام ابن الجزري عدم اشتراط هذا الشرط فقال:"وأما رعاية الترتيب

(1) وسيأتي في الفصل الثاني من هذا البحث توضيح معنى التركيب بالأمثلة، وبيان حكمه، انظر ص45 من هذا البحث.

(2) انظر:النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري154/2، وشرح طيبة النشر، للنويري:250/3-251، والمهذّب في القرَاءاتالعشر وتوجيهها، للدكتور محمد سالم محيسن:23/1. والقراءات القرآنية، لعبدالحليم بن محمد الهادي قابة، ص258-259.

(3) طيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ص61.

(4) انظر:الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي:272/1. والقراءات القرآنية، لعبد الحليم قابة، ص259.

والتزام تقديم شخص بعينه أو نحو ذلك فلا يشترط، بل الذين أدركناهم من الأستاذين الحذاق المستحضرين لا يعدون الماهر إلا من لا يلتزم تقديم شخص بعينه "[1].

وقد ذكر بعض العلماء شروطًا أخرى لجمع القراءات، حيث ينبغي لمن أراد جمع القراءات وتحصيل ما في هذا الميدان من خيرات:أن يحفظ كتابًا جامعًا للقراءات الثابتة، وكتابًا في الرسم.

وقد نبه إلى ذلك الإمام ابن الجزري –رحمه الله– حين قال:"فإن أراد الجمع فلابد من حفظ كتاب جامع في القراءات، وعليه أن يحفظ كتابا في الرسم، وليعلم حقيقة التجويد، ومخارج الحروف وصفاتها، وما يتعلق بها علمًا وعملاً "[2].

كما يُشترط لمريد الجمع:أن يُفرد القراءات أولاً؛ ليتمكن من تمييز أصول كل قارئ وفرشه، واستحضار خلاف كل واحد عند الجمع.

قال الإمام البنّا الدمياطي (ت:1117هـ) في إتحاف فضلاء البشر:"ومن أراد علم القراءات عن تحقيق فلا بد لهم نحفظ كتاب كاملي ستحضر به اختلاف القراء ،ثم يفرد القراءات التي يريدها بقراءة راوٍراو،وشيخٍ شيخ,وهكذا ،وكان السلف لا يجمعون رواية إلى أخرى، وإنما ظهر جمع القراءات في ختمة واحدة أثناء المائة الخامسة في عصر الداني ،واستمر إلى هذه الأزمان،لكنهم شروط بإفراد القراءات، وإتقان الطرق والروايات"[3].

ثانيًا:شروط الكمال:

(1)النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري154/2.

(2) منجد المقرئين، ص8.

(3)إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي:27/1.

لما كان تعلم القراءات القرآنية ليس الهدف الأساسي لتلاوة القرآن الكريم، بل الغرض من ذلك التجاوب مع أوامر القرآن ونواهيه:بأن يكون ممتثلاً للخير، منتهيًا عن الشر، رأى الأئمة المقرئون لجامع القراءات شروط كمال وهي:

أولاً:التدبر والتذكر، فلا ينبغي للقارئ أن يكون همه أداء أوجه القراءات فقط، قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1].

ثانيًا:أن ينوي بتعداد الأوجه مضاعفة الثواب والحسنات[2]، ويستحضر قول الرسول -ﷺ- من حديث ابن مسعود رضي الله عنه:«**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ الحَرْفُ وَلَكِنْ أَلِفٌحَرْ فٌوَلاَ مُحْرْفٌ وَميمٌ حَرْفٌ**»[3].

قال الإمام ابن الجزري: "والذي ينبغي أن القارئ لا يقصد بتكراره وجه الرواية فقط، وإنما يقصد التدبر والتفكر وتكثير الأجر، وأن له بكل حرف عشر حسنات"[4].

المطلب الرابع:فائدة القراءة بجمع الأوجه.

سبق القولبأن الإفرادهو المنهج الحقيقي في الدراسةالدقيقة للقراءات والروايات القرآنية، وأن جمع القراءات ضرورة طارئة لاينبغي أن تتخذ أصلاً لتلاوة

(1) سورة ص، الآية:29.

(2) انظر:جمع القراءات القرآنية، لعمر المراطي، ص34.

(3) أخرجه الترمذي في (فضائل القرآن), (باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن, ماله من الأجر), ص654, برقم:(2910).

(4) منجد المقرئين، ص20.

القرآن الكريم، حيث كان الطلبة يعزفون عن علم القراءات؛ لما كانوا يستعظمونه من المدة التي يتطلبها تعلم القراءات على الطريقة القديمة:حيث كانوا يقضون فترة غير قصيرة في تحصيل ذلك، فخشي الأئمة على علم القراءات من الاندراس،فبدؤوا يسمحون للطلبة بالجمع؛ وذلك لفتور الهمم، وصعوبة إفراد كل رواية بختمة.[1]

فالحاصل أن جمع القراءات:باب عظيم الفائدة، كثير النفع،بل هومن ثمرة ماتقدم من أبواب هذا العلم منالأصول، ونتيجة تلك المقدمات والفصول، وتتضح فائدة القراءة بجمع الأوجه فيما يلي:

1)– أن الروايات يُفسر بعضها بعضًا.

2)– أن المعنى بالتكرير يتقرر في ذهن السامع، كما في التوكيد اللفظي.

3)– أن الآية كلما كُررت ظهر للسامع المتدبر منها معنى يزيد على المعنى المفهوم له أولاً، وقد يكون بعض الحاضرين غافلاً عن القراءة بالرواية الأولى فلا يفوته حظه من القرآن عند القراءة بغيرها من الروايات.

4)– أن يطلع السامعون على لغات العرب المختلفة، وطرق منطقها المتنوعة، وأوجه كلامها المتعددة، وبدائع مفرداتها البالغة، فيدركوا فضل اللسان العربي، وسموه إلى غاية الكمال، فيُعرف عظم شأن اللغة العربية:لغة القرآن الكريم، وغناها وشرفها على سائر اللغات، ويعلموا أن القرآن الكريم في أعلى طبقات البلاغة، وأسمى مراتب الفصاحة التي فوق طاقة جميع المخلوقات[2].

(1) انظر:جمع القراءات القرآنية، ص 16، وشرح طيبة النشر،للنويري:246/3.

(2) انظر:القراءات القرآنية، لعبد الحليم قابة، ص246، نقلاً عن:هداية القراء والمقرئين، لخليل الجنايني، ص197-198.

5)–أن الجمع يستوفي مذاهب القراء، وفيه اختصار للوقت، وتيسير على الطالب.

6)–إخراج مقرئين للقراءات السبع أو العشر، جمعوا بين مهارتي:الإفراد والجمع.[1]

المبحث الثاني:

مناهج القراء في الأخذ بجمع القراءات القرآنية وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:الجمع بالحرف وكيفيته.

لما كان جمع القراءات من المسائل الاجتهادية تعددت مناهج العلماء فيه، وللشيوخ الآخذين بالجمع عدة طرق في كيفيته:

منها:الجمع بالحرف، ويطلق عليه:(**الجمع الكلمي**):

"وهو أن يشرع القارئ في القراءة فإذا مر بكلمة فيها خلف أصولي أوفرشي أعاد تلك الكلمة بمفردها حتى يستوفي ما فيها من الخلاف، فإن كانت مما يسوغ الوقف عليه:وقف واستأنف ما بعدها على الحكم المذكور، وإلا وصلها بآخر وجه انتهى عليه حتى ينتهي إلى وقف فيقف، وإن كان الخلف مما يتعلق بكلمتين كمد المنفصل والسكت على ذي كلمتين:وقف على الكلمة الثانية واستوعب الخلاف، ثم انتقل إلى ما بعدها على ذلك الحكم، وهذا مذهب المصريين، وهو أوثق في استيفاء

(1) انظر:القراءات القرآنية، لعبد الحليم قابة، ص229.

أوجه الخلاف، وأسهل في الأخذ وأخصر، ولكنه يخرج عن رونق القراءة، وحسن أداء التلاوة "[1].

المطلب الثاني:الجمع بالوقف وكيفيته.

قال الإمام ابن الجزري:

"وهو إذا شرع القارئ بقراءة من قدمه لا يزال بذلك الوجه[2] حتى ينتهي إلى وقف يسوغ الابتداء بما بعده فيقف، ثم يعود إلى القارئ الذي بعده إن لم يكن دخل خلفه فيما قبله، ولا يزال حتى يقف على الوقف الذي وقف عليه، ثم يفعل بقارئ قارئ حتى ينتهي الخلف، ويبتدئ بما بعد ذلك الوقف على هذا الحكم. وهذا مذهب الشاميين وهو أشدُّ في الاستحضار، وأسدُّ في الاستظهار، وأطول زمانًا، وأجود إمكانًا، وبه قرأت على عامة من قرأت عليه مصرًا وشامًا، وبه آخذ"[3].

المطلب الثالث: الجمع بطريقة الانتخاب من الطريقين السابقين، وكيفيته.

وهذا الجمع جمع مركب من المذهبين السابقين، وهو ما قال عنه ابن الجزري:

"ولكني ركبت من المذهبين مذهبًا، فجاء في محاسن طرازًا مُذهبًا، فأبتدئ بالقارئ وأنظر إلى من يكون من القراءأكثر موافقة له، فإذا وصلت إلى كلمة بين

(1)النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري2/151.

(2) لا يقصد ابن الجزري هنا بلفظ الوجه المصطلح المقابل للقراءة والرواية والطريق، وإنما يقصد المعنى اللغوي الشامل للخلاف من القراء والرواة وبين الطرق، انظر:القراءات القرآنية، لعبد الحليم قابة، ص256.

(3)النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري2/151-152.

القارئين فيها خلف وقفت وأخرجته معه، ثموصلت حتى أنتهي إلى الوقف السائغ جوازه، وهكذا حتى ينتهي الخلاف" [1].

وتحقق هذه الطريقة غاية الطريقتين السابقتين، ولكنها عسيرة على المبتدئ؛ إذ ينعدم فيها ترتيب القراء وفق قاعدة منتظمة.

المطلب الرابع:الجمع بالآية، وكيفيته.

"فيشرع في الآية حتى ينتهي إلى آخرها، ثم يعيدها القارئ حتى ينتهي الخلاف، وكأنهم قصدوا بذلك فصل كل آية على حدتها، بما فيها من الخلاف؛ ليكون أسلم من التركيب، وأبعد من التخليط"[2].

ولكن الإمام ابن الجزري قال:"ولا يخلصهم ذلك؛ إذ كثير من الآيات لا يتم الوقفعليه، ولايحسن الابتداء بما بعده، فكان الذي اخترناه هو الأولى والله أعلم"[3].

وهذا المنهج في الجمع يُبقي على رونق القراءة، وحسن الأداء، وهو أكثر المذاهب رعاية لأدب التلاوة، وفيه موافقة للسنة، إذ ورد عنه ﷺ القراءة آية آية، وورد عنه أيضًا التكرار للآي، ولا مانع من التكرار بحرف آخر، فالكل قرآن منزل.

والمحذور الذي ذكره ابن الجزري يمكن تحاشيه بترك الوقف في هذه المواضع المعينة وهي قليلة، والنادر لا يلغي حكم الغالب، ثم إن فيها تشبهًا بالمفردين الذين يقرؤون ختمة لكل قارئ، إذ إن الجامع بالآية كالمفرد، كما لو كانت حصة أخذه كل

(1)المصدر السابق.

(2)المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

مرة آية واحدة[1]، إلا أنه يستغرق وقتًا طويلاً إذ لا بد من إعادة الآيات الطوال مرات كثيرة بالرغم من أن نقاط الخلاف قد تكون نادرة وقليلة.

المطلب الخامس:الجمع بالتناسب، وكيفيته.

قال ابن الجزري:"وبعضهم كان يراعي في الجمع نوعًا آخر وهو التناسب، فكان إذا ابتدأ مثلا بالقصر أتى بالمرتبة التي فوقه ثم كذلك حتى ينتهي إلى آخر مراتب المد، وإن ابتدأ بالمد المشبع أتى بما دونه حتى ينتهي إلى القصر، وإن ابتدأ بالفتح أتى بعده ببين بين ثم المحض، وإن ابتدأ بالنقل أتى بعده بالتحقيق ثم السكت القليل ثم ما فوقه، ويراعي ذلك طردًا وعكسًا"[2].

خاتمة

الحمد لله الذي علم القرآن، وزين الإنسان بنطق اللسان، فطوبى لمن يتلو كتاب الله حق تلاوته، ويواظب آناء الليل وأطراف النهار على دراسته، فهو كلام الله تعالى الذي أنزله على المبعوث رحمة للعالمين، محمد المصطفى الأمين، عليه وعلى آله الطاهرين، وصحابته أجمعين:أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فأحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره أن وفقني لإتمام هذا البحث،وأسأله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه وتعالى وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله.

(1) انظر:القراءات القرآنية، لعبد الحليم قابة، ص257.

(2)النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري154/2، وانظر:شرح طيبة النشر، للنويري:249/3.

أهم النتائج والتوصيات:

1)- أن جمع القراءات استقر عليه العمل عند السلف، وتلقوه بالقبول منذ المائة الخامسة إلى زماننا هذا.

2)- أن القراءة بالجمع دون مراعاة للشروط المتفق عليها بين المجيزين قد تجعل صاحبها عاصيًا بما يظنه قربة، وتدخله تحت قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾[1].

وأوصي طلبة العلم بأن يتلقوا القراءة بالجمع على أهلها المتقنين المتخصصين؛ لأن فيه أمورًا لا تحكمها إلا المشافهة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(1) سورة الكهف، الآية:104.